﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ [يوسف: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أنْ وصلَ الحَسدُ الشّيطانيُّ إلى غايته في نفوسهم فقالوا بعد التّشاوُر: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ ارتعشَ لهولِ ما هُم مُقْدِمونَ عليه ضميرُ واحدٍ فيهم، فاقترحَ حلًّا يُريحُهم من يوسُفَ، ويُخلي لهم وجهَ أبيهم، دون الإقدامِ على جريمةِ القتل الشّنعاءِ فقال: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾.

بعدَ بلوغِ الشّيطانِ منهم غايتَه، تحرّكتْ فيهم مَشاعرُ الأخوّة، لتمنَعَهم من جريمةٍ شنعاءَ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَلۡقُوهُ﴾: أصلُ الإلقاء: يدلُّ على طرحِ شيءٍ، وأَلْقَيْتُهُ: نَبَذْتُهُ إلْقاءً، والشَّيءُ الطَّريحُ لَقًى[1]، والمُلْقَى: هو ما طُرِحَ وتُرِكَ لهَوانِه[2]، وكلّ إلقاءٍ فهو طرحٌ للشّيء حيث يُلْقَى، أي يُرى ويؤخذُ، ثم تُعورِف في كلّ طرْح[3]، والإلقاءُ أيضًا الرّميُ[4]، ومعنَى ﴿وَأَلۡقُوهُ﴾ في الآية: اطرحوه.

2) ﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾: أصلُ (غيب) يدلُّ على تَسَتُّرِ الشَّيْءِ عنِ العُيونِ، ومن ذلك الغَيْبُ: ما غابَ مِمّا لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللّه، ووَقَعْنا في غَيْبَةٍ وغَيَابَةٍ، أَيْ هَبْطَةٍ من الأَرْضِ يُغابُ فيها[5]، وكلُّ شيء غَيَّبَ عنك شيئًا فهو غَيابةٌ[6].

3) ﴿ٱلۡجُبِّ﴾: من (جبّ) الجيمُ والباءُ في المضاعَف أصلان:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (لقي).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لقي).
(4) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 156.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غيب).
(6) الخليل، العين: (غيب).

أحدُهما القطعُ، والثّاني تجمّعُ الشّيء[1]، والجَبوبُ: وَجْهُ الأَرض، وقيل: هي الأَرضُ الغَليظةُ منَ الصَّخْر لا منَ الطِّين[2]، والجُبُّ: بئرٌ غيرُ بعيدةِ القَعرِ[3]، وقيل: هي الكثيرةُ الماءِ البعيدةُ القعْر، وبئرٌ مُجَبَّبَةُ الجَوفِ إذا كان في وسطها أوسعُ شيءٍ منها، مُقَبَّبَةً[4]، والدّقيقُ أنّ الجبَّ هو البئرُ العميقةُ القليلةُ الماء، بحمل كثرةِ الماء المذكورةِ على أنّها كثرةٌ نسبيةٌ لا تُغرقُ[5]. وغَيابَةُ الجُبِّ: قَعْرُهُ، وغَيابَةُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا سَتَرَك؛ وهو قَعْرُه مِنْهُ[6]، والمعنَى في الآية: وألقوه في قَعْرِ الجبّ، حيث يَغيبُ خبرُه[7].

4) ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: أصلُ (لقط) يدلُّ على أَخْذِ شَيءٍ منَ الْأَرْضِ قد رَأَيْتَهُ بَغْتَةً ولَمْ تُرِدْهُ، وقد يكونُ عن إِرَادَةٍ وقَصْدٍ أيضًا، ومنه لَقطُ الحَصَى وما أَشْبَهَهُ، واللُّقَطَةُ: ما الْتَقَطَهُ الإنسانُ من مالٍ ضائعٍ، واللَّقِيطُ: المَنْبُوذُ يُلْقَطُ[8]، ومعنَى ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ في الآية: يأخذُه بعضُ مارّة الطَّريق منَ المسافرين[9].

5) ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾: السّينُ والياءُ والرّاءُ أصلٌ يدلُّ على مُضيٍّ وجريانٍ[10]، والسَّيرُ: الذهابُ نهارًا وليلًا، يُقال: سارَ القومُ سَيْرًا ومَسيرًا: إذا امتدّ بهم السّيرُ في جهةٍ توجّهوا لها، والسّيّارُ: الكثيرُ السّير[11]، والسَّيّارَةُ: القافِلَةُ السّائرة، والقَوْمُ يَسيرُونَ، أُنّثَ على مَعْنَى الرُّفْقَةِ، أو الجَماعة[12]، فالسيّارةُ: رفقةٌ يسيرون[13]. ومعنى ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ في الآية موافقٌ لمعناها اللُّغويِّ، أي: الجماعةُ الموصوفةُ بحالةِ السّيْر وكثرتِه[14]، وهمُ الجماعةُ المارّةُ الذين يسيرون في الطريقِ للسّفر[15].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جب).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جبب).
(3) الخليل، العين: (جب).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (جبب).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جبب).
(6) الرّازيّ، مختار الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (غيب).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 15/565.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقط).
(9) ابن جرير، جامع البيان: 15/567.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سير).
(11) الزبيدي، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (سير).
(12) ابن منظور، لسان العرب: (سير).
(13) الكفويّ، الكليّات، ص: 519.
(14) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/226.
(15) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/452.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اقتراحُ يُحقّقُ غايةَ إخوةِ يوسُف، ويُنجيهِ مِنَ الموتِ المُدبَّرِ له من قبلُ

اقترحَ أحدُهم قائلًا: لا تقْتلوا يوسفَ فهو أخوكم، ولكنْ إذا أردتُم التّخلّصَ منه حقًّا، فألقوه في غيابات البئرِ؛ وهي ما يغيبُ عنِ النّظرِ من قعره، أو حفرةٍ بجانبه يلتقطُه بعضُ السّيّارة، وهم المُسافرون الذين يسيرون في الأرض للتّجارة، فيتمُّ لكم غرَضُكم، وهو إبعادُه عن أبيه حتى يخلُوَ لكم وجهُه إن كنتم فاعلين الصّوابَ فهذا هو الصّوابُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

فصْلُ جملةِ ﴿قَالَ قَآئِلٌ﴾ عمَّا قبلَها:

استئنافٌ يُبيّنُ اقتراحَ أحدِهم بما يَحمي يوسُفَ من القتلِ، ويُبعدُه عن أبيهم

لم يذكرِ البيانُ الإلهيُّ العاطفَ بين قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ وما سبقَه ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾؛ لوقوعِ قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ استئنافًا بيانيًّا؛ إذ بين الجُملتين شِبْهُ كمالِ الاتّصال؛ وكأنَّ سائلًا سأل: هلِ اتّفقوا على ما عرضَ عليهم من خصلتَي الصّنيع؟، أم خالفَهم في ذلك أحدٌ؟ فأتى الجوابُ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ﴾[2].

فائدةُ جِناسِ الاشتقاقِ في: ﴿قَالَ قَآئِلٌ﴾:

جمالٌ ووضوحٌ في المعنى، وتأكيدٌ على أهميّةِ المَقُولِ

عبّر البيانُ القرآنيُّ عنِ الاقتراحِ الذي قدّمه أحدُ الإخوة بقوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ﴾ ولم يقلْ: (قال واحد)؛ ليستعملَ في ذلك جناسَ الاشتقاقِ؛ إذ يجمعُ ﴿قَالَ﴾ و﴿قَآئِلٌ﴾ جذرٌ لغويٌّ واحدٌ ومادَّةٌ لغويّةٌ واحدةٌ ممّا يزيدُ المعنَى وضوحًا ويساعدُ على ترسُّخه في الذّهن، ويؤكِّدُ على أهميّة المَقول، وهو النّهيُ عن قَتْلِ يوسُف، والاكتفاءُ بإلقائِه في الجُبّ، وذلك بسبب تكرّرِ الجَذْرِ، كما أنّه جعلَ العبارةَ

(1) الحجازيّ، التّفسير الواضح: 2/164.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 6/384.

على الأذن سهلةً مُستساغةً؛ لتجدَ في النّفسِ القَبولَ، وتقعَ في القلبِ أحسنَ موقعٍ.

سِرُّ العُدولِ عنِ الاسمِ العلَمِ إلى النَّكرةِ ﴿قَآئِلٌ﴾:

أبهمَ البيانُ الإلهيُّ اسمَ القائلِ فعدلَ عنِ التَّصريح به إلى التَّنكيرِ والوَصْفيَّةِ؛ لعدّة فوائدَ:

أوّلًا: عدمُ الجدوَى في معرفةِ شخصِه، وإنَّما المهمُّ أنّه من جماعتِهم.

ثانيًا: تَجَنُّبُ ما في اسمِهِ العَلَمِ (روبيل) مِنَ الثِّقَلِ اللَّفظِيِّ الذي لا داعيَ لوجوده.

ثالثًا: موافقةُ عادةِ القرآنِ في عدمِ ذِكْرِ التَّفصيلات إلَّا لفائدةٍ، وأنّهُ لا يذكرُ إلَّا اسمَ المَقصودِ مِن القِصَّةِ دونَ أسماءِ الَّذينَ شَمَلَتهُم، مِثْلَ قولِه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [سُورَة غَافِر: 28][1].

إبهامُ الأسماءِ أسلوبٌ قرآنيٌّ، مِن أهدافِه التّركيزُ على المضمونِ

رابعًا: التّركيزُ على مضمونِ القول، وهو قصدُ بيانِ أنّ الذي كانتْ على يدِهِ النّجاةُ هو واحدٌ منهم[2].

خامسًا: الإشعارُ بأنَّه يجبُ قَبولُ النُّصح من أيّ قائلٍ كان، وأنَّ الإنسانَ لا يحْقِرُ نفسَه في بذلِ النُّصح على أيّ حالٍ كان[3].

سادسًا: الذّمُّ له؛ إذ إنّه رغمَ كونِ اقتراحه أقلَّ ضررًا إلَّا أنّه يبقَى شريكًا في الجريمة ﴿مِّنْهُمْ﴾.

سِرُّ التّقييدِ بالجارِّ والمجرورِ ﴿مِّنْهُمْ﴾:

قيَّدَ البيانُ القرآنيُّ (القائل) بالجارِّ والمجرورِ ﴿مِّنْهُمْ﴾؛ تعيينًا له بعضَ التَّعيين بأنّه من إخوة يوسُفَ عليه السلام؛ إذ لو لم يقلْ: ﴿مِّنْهُمْ﴾ لما دلَّ على أنّ القائل أحدُ الإخوة، وفي هذ القيدِ كذلك إشارةٌ إلى محاولة إقناعِهم بأنّه ناصحٌ لهم؛ لأنّه منهم ويُهمُّه ما يُهمُّهم، ويتّفقُ معهم في وَهْمِهم بتفضيلِ يعقوبَ يوسُفَ عليهما السلام في المحبَّة.

في التّقييدِ إقناعٌ للإخوةِ، فالقائلُ منهم، وهو ناصحٌ لهم يُهِمُّه ما يُهِمُّهُم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/225.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 10/24.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 10/24.

وضْعُ المُظْهَرِ ﴿يُوسُفَ﴾، موضِعَ المُضْمَرِ في الآيةِ:

في التّصريحِ باسمِ يوسُفَ، استجلابٌ للشَّفقةِ عليه، واستعظامٌ لقتلِه

قولُه تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، وفيه أظهرَ البيانُ القرآنيُّ اسمَ يوسُفَ في مَقامِ إضمارِه، حيث لم يَقُلْ: (لا تَقْتُلوه)؛ استِجْلابًا لِشفَقتِهم عليه، إذ "في نُطقِه للاسم تحنينٌ لهم"[1]، أوِ استِعْظامًا لقَتلِه[2]، وهذا يدلُّ على بقاءِ نوعٍ منَ العاطفةِ الأخويَّة في نفسه، ولذا لم يُصرّحْ بنهْيِهم عنِ الخصلة الأخرى، وأحالَه على أولويّةِ ما عرَضه عليهم بقوله: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾، أي في قعْرِه وغَورِه[3].

دَلالةُ الواو في: ﴿وَأَلْقُوهُ﴾، بعْدَ النّهي عن قتلِه:

إبعادُ يوسُفَ يُحقّقُ غَرضَ الجميعِ، دونَ الوقوعِ في الجُرمِ الشّنيعِ

الواو في قوله: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه هو قولُ اللّه سبحانه: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾، وقد جاءَ العطفُ هنا لوجودِ مناسبةٍ بين الجُملتَين؛ إذ كلاهما أسلوبٌ إنشائيٌّ؛ الأوّلُ: إنشاءُ نهيٍ، والثّاني إنشاءُ أمرٍ، وغرَضُهما واحدٌ وهو النّصحُ والإرشادُ، أي نَصحَ القائلُ إخوتَه بهذا بعدمِ قتلِ يوسفَ، وأرشدَهم إلى إلقائِه في غيابة الجبّ، وذلك يحقّقُ غرَضَهم جميعًا بما فيهم القائلُ، وهو إبعادُ يوسفَ عن أبيه دون أنْ يقَعوا في جريمة القتلِ، وفي هذا إشارةٌ إلى خوفِ أخيهم القائلِ من سوءِ العاقبة للقتلِ.

دَلالةُ الأمرِ في: ﴿وَأَلْقُوهُ﴾:

أمرُ النُّصحِ أدْعى لقَبولِ الاقتراحِ بعدمِ القتلِ، والاكتفاءِ بالإبعادِ

عبّر البيانُ الإلهيُّ في الآية بفعل الأمر ﴿وَأَلْقُوهُ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾، وهو أمرٌ غرضُهُ النُّصحُ والإرشادُ، والمعنى: أنصحُكم بإلقاءِ يوسفَ في غياباتِ الجُبّ.

إيثارُ كلمتَيْ ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾:

﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: قعرُهُ وغورُهُ سُمّي به لغيبتِه عن عين النّاظرِ،

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 11/6873.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/256.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/384.

ومنه قيل للقبر: غيابةٌ، والغيابةُ في الجبّ شبهُ كهفٍ أو طاقٍ في البئرِ فوقَ الماء يغيبُ ما فيه عنِ العيون[1]، والجُبّ هو البئرُ، وسُميّت "جُبًّا لأنّها قُطِعَت قَطْعًا ولم يَحدُثْ فيها غيرُ القَطْع من طَيٍّ وما أشبَهَه"[2]، ومن معاني الجُبّ كذلك أنّها البئرُ القليلةُ الماء والبعيدةُ القعْرِ البالغةُ العُمقِ، التي تُخفي ما فيها، وبهذا الوصفِ تكون البئرُ غيابةً[3]؛ إذِ المعنَى المحوريُّ لغيابة الجُبّ هو: الاختفاءُ استتارًا[4].

المبالغةُ في تحقيقِ إبعادِ يوسفَ عن أبيه، وفي إقناعِ بقيّةِ الإخوةِ بعدمِ قتْلِه

ومن ثَمَّ كان التّعبيرُ بالغيَابة بدلَ (القَعْر)، وبالجبِّ بدَلَ (البئر)؛ للإشارةِ إلى الغايةِ من إلقائه في غيابة الجُبّ؛ وهي حتى ينقطعَ ويغيبَ خبرُه إلَّا عنِ السّيّارة، إذ هي عميقةٌ لا يستطيعُ أنْ يخرج منها، والطَّرحُ في موضعٍ مُظلمٍ منَ الجُبّ حتى لا يلحقَه نظرُ النّاظرين[5]؛ إذ كان يحتملُ أنْ يُلقى في موضعٍ منَ الجُبّ لا يحولُ بينه وبين النّاظرين، وهي - أي البئرُ - قليلةُ الماءِ لا يكثر حولَها الرّعاةُ إلا السّيّارةُ الذين يقصدون هذه البئرَ، ومن ثَمَّ: سيتحقّقُ لهمُ انقطاعُ، وغيابُ خبره عن أبيه يعقوبَ ﷺ؛ لأنّ السّيّارةَ كثيرو السّفر، وليس لهم مكانٌ محدّدٌ، ومن ثَمَّ لن يصلَ يعقوبُ إليه[6].

معنى (أل) التّعريفِ في: ﴿ٱلْجُبِّ﴾:

(أل) التّعريف لمفردةِ ﴿ٱلْجُبِّ﴾ في قوله تعالى: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ عهديّةٌ[7]، والعهدُ فيها ذِهنيٌّ؛ لأنَّ ذلك الجُبَّ كان معروفًا يَرِدُ عليه كثيرٌ مِنَ المسافرين، فإذا أخذوهُ ذهبوا به إلى ناحية أخرى فنستريحُ منه[8]، وفي هذا إغراءٌ لهم للموافقةِ على ذلك دونَ قتلِه.

ذِكْرُ جُبِّ معروفٍ عندَ الإخوةِ زيادةُ إقناعٍ لهم في تحقيقِ مقْصدِهم

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/384.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جبب).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جبب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غيب).
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/425.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 15/565.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/425.
(8) الشربيني، السراج المنير: 2/93.

واختُلِفَ في موضع ذلك الجُبّ، فقال قتادةُ: غَيَابة الجبّ: بئرٌ ببيتِ المقدس، وقال وهب: هو بأرضِ الأردن، وقال مقاتل: هو على ثلاثةِ فراسخَ من منزلِ يعقوبَ[1].

تَوجيهُ قراءةِ (غيابات) بالجمع، وأثرُه في المعنَى:

تأكيدُ ضَمانِ غَيبتِه عن أعيُنِ النّاسِ، وإقناعُ الإخوةِ بذلك

في قوله تعالى: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ قراءتان مُتواترتان[2]؛ **الأولى**: قرأ الجمهورُ ﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ على الواحد في الحرفَين، أي في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ وقوله: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾ [يوسف: 15]، **والثّانية**: قرأ المَدنيّان بالألف: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ على الجمعِ في الحرفَين، أي الموضعَين السّابقَين.

ووجهُ قراءة الجمع ﴿غَيَٰبَتِ﴾ "أنّه أرادَ ظُلَمَ البئرِ ونواحيَه، فجعلَ كلَّ مكانٍ في غيابة"[3]، أي: أنَّ للجُبِّ أقطارًا ونواحيَ، فيكونُ فيها غياباتٌ، وهذا فيه إشارةٌ إلى عُمقِ الجبّ، وكبرِ حجمِها بما يحقّقُ المقصودَ؛ وهو زيادةُ غِيابِه عن أعْيُنِ النّاسِ، بخلافِ ما لو كان في البئرِ غيابةٌ واحدةٌ، وهذا يُحقّقُ مقصودَ الأخِ في إقناعِ الإخوة بذلك، والعُدولِ عنِ القتل أوِ الطّرح المُفضي إلى الموت.

ووجهُ قراءةِ مَنْ وحّدَ: "أنّه أرادَ موضعَ وقوعِه فيه، وما غيّبَه منه؛ لأنّه جسمٌ واحدٌ، شغلَ مكانًا واحدًا"[4]، أي: أنّ المقصودَ موضعٌ واحدٌ مِنَ الجبِّ يغيبُ فيه يوسُفُ، فالتَّوحيدُ أخصُّ وأدلُّ على المعنَى المطلوبِ[5].

ومن ثَمَّ تتكاملُ القراءتان في بيانِ المعنَى، فقد وضعوه في غَيَابةٍ محدَّدةٍ في جُبٍّ فيه العديدُ منَ الغَياباتِ التي تساهمُ في زيادةِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/566، والشّربينيّ، السّراج المنير: 2/93.
(2) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/293.
(3) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 193.
(4) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السّبع، ص: 193.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/425.

ضمانِ غَيبتِه عن أعيُنِ النّاس، وتساهمُ من قِبَلِ الأخِ المقْتَرِحِ في إقناعِ إخوتِه بالعُدولِ عن قتلِ يوسفَ إلى هذا المقْتَرَحِ.

بَلاغةُ الاستعارةِ في الفعلِ: ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾:

شُبّه يوسُفُ في قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ باللُّقَطَةِ، فحُذفَ (المشبّهُ) وهو يوسُفُ، وصُرِّح بـ (المشبَّه به) وهو اللُّقَطَةُ، بجامعِ أنَّ كلًّا منهما شيءٌ مطروحٌ يتمُّ تناولُه؛ فـ"الالتقاطُ: تناولُ شيءٍ منَ الأرض أوِ الطَّريق، واستُعير لأخذِ شيءٍ مُضَاعٍ"[1]، والاستعارةُ تصريحيّةٌ، وفي الاستعارةِ ثلاثُ فوائدَ:

في الاستعارةِ إشارةٌ إلى زُهدِهم بيوسُفَ، وحرْصِ القائلِ على حياتِه

الأولى: إشارةٌ إلى زُهدِهم به؛ إذ شبّهوه باللُّقطةِ التي تُتَنَاولُ من أرضٍ أو طريقٍ، وهي" تَنَاوُلُ الشّيءِ المطروحِ"[2].

الثّانيةُ: دلالةٌ على حِرصِ القائل على حياةِ يوسفَ ﷺ، والمعنَى: يأخذُه على وجه الصّيانة عنِ الضّياع والتّلفِ، فإنّ الالتقاطَ أخذُ شيءٍ مُشرفٍ على الضّياعِ[3].

الثّالثةُ: إشارةٌ إلى صِغرِه؛ "إذ لا يُلتقطُ إلّا الصّغيرُ"[4]، وفي هذا تحنينٌ عليه بأنّه صغيرٌ؛ لإقناعهم بفكرتِه والعُدولِ عن قتلِه.

إيجازُ الحذْفِ في: ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾:

إيجازٌ غرَضُه التّركيزُ على المَشاهدِ البارزةِ في القصّةِ

الفعلُ المضارعُ ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ في جواب الطّلبِ ﴿وَأَلْقُوهُ﴾ مجزومٌ بحرفِ شرطٍ مُقدّرٍ هو وفعلُ الشّرط؛ لأنّ التقاطَه من بعض السّيّارة لا يتحقّقُ بمجرّد النُّطقِ بفعلِ الأمر، وإنّما يتحقّقُ بتنفيذِ الأمر، فالتّقديرُ: ألقوا يوسفَ في غيابة الجبّ فـ "إنْ تُلْقُوه يلتقِطْه"[5] بعضُ السّيّارة؛ فالمحذوفُ هنا هو أداةُ الشّرطِ وفعلُ الشّرط، وفي هذا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/226.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 6/447.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/256.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/134.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 12/225.

الحذفِ إيجازٌ يدلُّ بالألفاظ القليلةِ على المعاني الكثيرةِ، وهو كثيرٌ في القَصص القرآنيِّ؛ لتسليطِ الضَّوءِ على المشاهدِ البارزةِ فيه، وتركِ ما بينهما من فجواتٍ تدلُّ عليها روابطُ بدَهيّةٌ؛ ليُفْسَحَ المجالُ للخيال حتى يملأَها بما يُعطي قيمةً جماليّةً للقصّة، بينما تقلُّ هذه القيمةُ وتضعفُ أكثرَ فأكثرَ كلّما شُغل الذّهنُ بعرضِ تلك الرّوابطِ البدهيّة[1].

فائدةُ التَّسَبُّبِ الّذي يدلُّ عليه جوابُ الأمرِ ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾:

إبعادٌ لا يُرجى بعدَه التّلاقي، هو أمْثلُ الآراءِ، بارتكاب أخفِّ الضّرَرَين

يفيدُ التَّسَبّبُ الذي يدلّ عليه جوابُ الأمر ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ إظهارَ أنَّ ما أشار به القائلُ من إلقاءِ يوسُفَ عليه السلام في غيابةِ الجبِّ هو أمْثلُ ممَّا أشارَ به الآخرون من قتله، أو تركِه بفَيْفَاءَ مُهْلِكةٍ؛ لأنَّه يحصلُ به إبعادُ يوسُفَ عليه السلام عن أبيهِ إبعادًا لا يُرجى بعدَه تلاقيهما دون إلحاقِ ضُرٍّ الإعدام بيوسفَ عليه السلام، فإنَّ التقاطَ السَّيّارة إيَّاه أبْقى له وأدخلُ في الغَرَض منَ المقصودِ لهم، وهو إبعادُه، لأنَّه إذا التقطهُ السَّيَّارةُ أخذوه عندَهم، أو باعوه فزادَ بُعْدًا على بُعْدٍ[2].

فائدةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿بَعْضُ﴾:

في إبهامِ السّيّارةِ، مُبالغةٌ في تَنائي يوسُفَ عنهم، وزيادةٌ في إقناعِهم

قولُه تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾، وفيه استعملَ البيانُ القرآنيُّ لفْظَ (بَعْضُ)؛ لِما فيها منَ الإبهام؛ وذلك لتحقيقِ ما يتوخّاه من ترويجِ كَلامِه بموافَقتِه لغرَضِهم الَّذي هو تَنائي يوسُفَ عنهم، بحيث لا يُدرَى أثرُه، ولا يُروَى خبَرُه[3].

دَلالةُ (ال) في كلمة ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾:

سيّارةٌ معروفةٌ بكثْرةِ السَّفر، تنْأى بيوسُفَ أبعدَ مكانٍ

أل التّعريفِ في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ عهديّةٌ، والعهدُ فيها ذِهنيٌّ؛ لأنَّهم علِموا أنَّ الطَّريقَ لا تخلو من قَوافِلَ بينَ الشَّامِ ومِصرَ للتِّجارةِ والميرَةِ.

والسَّيّارَةُ: الجماعةُ الموصوفَةُ بحالةِ السّير وكَثرَتِه، فَتَأْنيثُهُ

(1) البغا، الواضح في علوم القرآن، ص: 195.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/226.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/256.

لتَأْويلِه بالجماعةِ الَّتي تَسيرُ؛ مِثْل الفلَّاحةِ والبَحَّارَةِ[1]، والسَّيّارةُ جمع السّيَّار مِن صيغِ المبالغة، وزنُه: فعّال، وهو المُبالِغُ في السَّير[2]، أي: المسافرُ كثيرُ السّفر، وفي هذا إشارةٌ إلى أمرين:

الأوّل: حرصُهم على تحقيقِ إبعادِ يوسُف ﷺ أكبرَ قدْرٍ مُمكنٍ، أيْ لن يكونَ لهُم مكانٌ محدّدٌ يُعرفون به لكثرةِ سفرِهم، ولن يحتفظوا به عندهم؛ لكي لا يكون عائقًا لهم.

الثّاني: عدمُ الحاجةِ بذلك إلى حملِه إلى مكانٍ بعيدٍ مع تحقّقِ المقصود، فإنَّ مَنِ التَقَطَه مِنَ السّيّارة يحمِلُه إلى موضعٍ بعيدٍ، وكان هذا وجهًا في التَّدبير حتى لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسِهم، فربَّما لا يأذنُ لهم أبوهم، وربّما يطّلعُ على قصْدِهم[3]. ولهذه المعاني آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بـ ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ دون السّائرةِ.

دَلالةُ جملةِ ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾، في السّياقِ المبين:

الإشارةُ إلى أنّ الأَولى الاقتصارُ على الأخفِّ، تفاديًا للأبشعِ

أفادتْ جملةُ ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾، الإشارةَ إلى أنّ الأَولى أنْ لا تفعلوا شيئًا من ذلك، وأمَّا إنْ كان ولا بُدَّ فاقتَصِروا على هذا القَدْر، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: 126]، يعني الأَولى أنْ لا تفعلوا ذلك[4].

إيثارُ استعمالِ ﴿إِن﴾ بدلًا من (إذا):

لم يكنِ الأخُ مُتأكِّدًا من مُوافقةِ إخوتِه، فعَرَضَ عليهمُ الأمرَ غيرَ مقْطوعٍ به

قولُه تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾، وفيه عبّر القرآنُ بحرف الشّرطِ ﴿إِن﴾ دونَ (إذَا)؛ للدّلالةِ على عدمِ تأكّدِه من موافقتِهم على اقتراحه؛ لأنّ من شرطِ (إذا) أنْ يكونَ التّعليقُ بها على أمرٍ معلومٍ مقطوعٍ بوقوعِه، أو كثيرِ الوقوع، بخلاف (إنْ) فإنّها لا يكون التّعليقُ بها إلّا في مُبْهَمٍ مشكوكٍ فيه[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/226.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/25.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/133.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/425، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/25.
(5) ابن نور الدّين، مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص: 84.

أو للدّلالةِ على أنّه لم يَبِتَّ القولَ عليهم، بل إنّما عَرَضَ عليهم ذلك؛ تأليفًا لقلبِهم، وتوجيهًا لهم إلى رأيه، وحذرًا من نسبتِهم له إلى التّحكُّم بالرأي[1].

فائدةُ التّعبيرِ بفعْلِ ﴿كُنتُمْ﴾، ماضيًا مجموعًا:

إبعادُ يوسُفَ عن أبيه، أمرٌ ثابتٌ عند إخوتِه لا يقبلُ المُساومةَ

قولُه تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ فَعِلِينَ﴾، عبّر البيانُ الإلهيُّ بفعلِ الكوْنِ ﴿كُنتُمْ﴾ ماضيًا مجموعًا؛ للدّلالة على تأكّدِ وتحقّقِ اتّفاقِهم على إيقاعِ الإضرارِ بيوسفَ عليه السلام؛ لأنّ الماضيَ يدلُّ على التّحقّق والوقوعِ.

كما أنّ الجمعَ بين الماضي في ﴿كُنتُمْ﴾ واسْمِ الفاعلِ ﴿فَعِلِينَ﴾ الذي يدلُّ على الثُّبوتِ والدّوام، والتّعبيرَ بالجملةِ الاسميّةِ التي تفيدُ الثّبوتَ، يدلُّ على استمرارِهم وثباتِهم في الكيد ليوسفَ عليه السلام، والمعنى: ألقُوا يوسفَ في غَيَابَةِ الجبِّ يلتقطْه بعضُ السّيّارة إنْ كنتم مُصرِّين وثابتين على ما تُخطِّطون فعلَه بيوسفَ عليه السلام.

الإيجازُ بالحذْفِ في قولِه: ﴿إِن كُنتُمْ فَعِلِينَ﴾:

إذا تساوَى الذِّكْرُ والحذْفُ، فالحذفُ أَولى

حَذَفَ البيانُ القرآنيُّ مفعولَ ﴿فَعِلِينَ﴾؛ إذِ التّقديرُ: إنْ كنتم فاعلين ما يحصلُ به غرَضُكم منَ التّفريق بينَه وبين أبيه[2]، والحذفُ هنا للاختصار؛ لدلالةِ ما سبقَ عليه.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإلقاءُ والوضعُ:

الإلقاءُ النّبذُ والطّرحُ وتركُ الشّيءِ لهوانِه، والوضعُ الانخفاضُ والحَطُّ

يختلفُ معنَى الإلقاءِ عن معنَى الوضعِ، ولكلٍّ ما يُميّزه عنِ الآخر، وبيانُ ذلك:

أصلُ الإلقاء: يدلُّ على طرحِ شيءٍ، وأَلْقَيْتُهُ: نَبَذْتُهُ إِلْقاءً، والشَّيءُ الطَّريحُ لَقًى[3]، والمُلْقَى: هو ما طُرِحَ وتُرِكَ لهَوانِه[4]، وكلُّ إلقاءٍ فهو

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/257.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/244.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(4) الزّبيدي تاج العروس: (لقى).

طرحٌ للشّيء حيث يُلْقَى، أي يُرى ويؤخذُ، ثم تُعورِف في كلّ طرْح[1]، والإلقاءُ: الرّميُ[2].

والوضعُ: أصلُ (وضع) يدلُّ على الخفضِ للشّيءِ وحَطِّهِ، ووُضِعَ في تجارتِه: خَسِرَ[3]، ووضعتِ المرأةُ: ولدَتْ، والتّواضعُ: التّذلّلُ[4]، ووَضَعَ الدَّين عنه وضعًا: أسقطهُ عنه، والموضوعةُ منَ الإبل: التّي تركها رِعاؤها وانقلبوا باللّيل، والضَّعَةُ: الذُّلُّ والهَوانُ والدَّناءَةُ، وتَواضَعَتِ الأَرضُ: انْخَفَضَتْ عَمّا يَليها، والوضعُ ضدُّ الرّفع[5]. إذن: يتميّزُ الإلقاءُ بمعنى الطّرحِ والنّبذِ والرّمي، والشّيءُ المُلْقَى هو ما طُرِحَ وتُرِكَ لهَوانِه، في حين يتميّزُ الوضعُ بمعنَى الخفضِ والحطّ.

الغيابةُ والقعْرُ:

الـغَـيـابـةُ سَـترُ الـشّيءِ وغِيابةُ عــنِ الـعـينِ، والـقـعـرُ أسفلُ الشّيءِ، وأقصاهُ ومُنتهى عُمقِه

يتقاربُ معنَى الغيابةِ والقعْرِ، ويُستعملُ أحدُهما مكانَ الآخر، فيُقال: غيابةُ الجُبّ، وقعرُ الجُبّ، ومع ذلك فإنّ لكلِّ لفظٍ ما يُميّزُه:

فالغيابةُ أصلُ (غيب) يدلُّ على تَستُّرِ الشَّيءِ عنِ العُيونِ، ومن ذلك الغَيْبُ: ما غابَ ممّا لا يَعْلَمُهُ إلّا اللّه، ويُقال: وَقَعْنا في غَيْبَةٍ وغَيَابَةٍ، أَيْ هَبْطَةٍ منَ الْأَرْضِ يُغَابُ فيها[6]، وكلُّ شيءٍ غَيَّب عنك شيئًا فهو غَيابةٌ[7].

والقعْرُ: أصلُه يدلُّ على هَزْمٍ في الشَّيءِ ذاهبٍ سُفْلًا[8]، وقَعْرُ كلِّ شيءٍ أقصاهُ وأسفلُه، وقَعْرُ البئرِ: عمْقُها، والتّقعيرُ: التّعميقُ، والقعْرُ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لقى).
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 156.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وضع).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (وضع).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس، وابن منظور، لسان العرب: (وضع).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غيب).
(7) الخليل، العين: (غيب).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قعر).

من كلّ شيءٍ أجوفَ مُنتهى عُمقِه[1]، فالمعنى المحوريُّ للقعْرِ هو القاعُ السّفليّ الذي ينتهي به عُمقُ شيءٍ مجوّفٍ[2].

إذن: يتميّزُ لفظُ الغيابةِ بالتّستّرِ عنِ العيون، والغيابِ عنِ الرُّؤية. في حين يتميّزُ لفظُ القعْرِ بأنّه أسفلُ الشّيء وأقصاهُ ومُنتهى عُمقه. ومن ثَمَّ: هناك فرقٌ بين الغيابةِ والقعْرِ، فالشّيءُ في غيابةِ الجُبّ مثلًا يغيبُ عنِ العين، ولا يُشترطُ أنْ يكونَ في أسفلهِ وأقصى عُمْقِه، ولكنّ الغالبَ أنّ الشّيءَ إذا بلغَ قعرَ الجبِّ، فإنّه يغيبُ عنِ العينِ إذا كان عميقًا.

الجبُّ والبِئْر:

البئرُ ما حُفرَ وطُوِيَ، والجُبُّ ممّا وُجدَ ولم يُطوَ

يكادُ يكونُ لفظا (الجبّ والبئر) مترادفَين عند بعضِ العلماء إذ عَدّوهُما بمعنًى واحدٍ، فعرّفوا الجُبّ بالبئر، ومنهم من فرّق بينهما فجعل الجبَّ: هي البئرُ التي لم تُطْوَ، أو ممَّا وُجِدَ لا ممَّا حَفَرَهُ النَّاسُ، أوِ الكثيرةُ الماءِ البعيدةُ القعرِ، أوِ الجيّدةُ الموضعِ منَ الكلأ[3]، وقيل: الجُبُّ: بئرٌ غيرُ بعيدةِ القَعر[4]، وقيل هي البئرُ الواسعةُ، وبئرٌ مُجَبَّبَةُ الجوفِ إذا كان في وسطها أوسعُ شيءٍ منها، مُقَبَّبَةً[5]، وتسميتُه بالجُبّ؛ إمّا لكونهِ محفورًا في جَبوب، أي: في أرضٍ غليظةٍ، وإمّا لأنّه قد جُبّ، أي: قُطِعَ، لأنّ أصلَ الجبّ القطعُ[6].

والبِئْر: معروفٌ، وهو ما حُفرَ وطُوي، وهي في الأصلِ حفيرةٌ يُسترُ رأسُها ليقعَ فيها مَنْ مرّ عليها[7]، وأصلُها من بأَرَ بِئْرًا: حفرَها، "بأرَ الشّيءَ وابتأره: خَبَأه وادّخره، والبئرُ: حفرةٌ عميقةٌ يُستخرجُ منها الماءُ[8].

(1) ابن منظور، لسان العرب، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (قعر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قعر).
(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (الجب).
(4) الخليل، العين: (جب).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (جبب).
(6) الرّاغب، المفردات: (جب).
(7) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (بأر).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (بأر).

نخلصُ إلى أنّ الفرقَ بين الجُبّ والبئر هو أنّ الجُبّ ممّا وُجدَ، لا ممّا حفرهُ النّاسُ، والبئرُ ما حفرهُ أناسٌ، وأنّ الجبَّ ما لم يُطْوَ، والبئرُ ما طُوي.

وأنّ الجُبُّ ما جُبّ منَ الأرضِ، أي ما قُطعَ منها، أو لأنّها في أرض جَبوبٍ، أي صخريةٍ غليظةٍ، والبئرُ منَ البَأْر أي الحفرُ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»